نيتشه.....
بين (الله)....
وبين (أناه).... وبين (سواه)

بسط اللاهوت(لخ) جناحيه على سائر أفكار العصور الوسطى وبدأت إرهاصات الشك(بر) تلوح في الأفق منذ القرن الرابع عشر، واتضحت في القرنين التاليين إلى أن

---

(1) معجم المعتمد: اللاهوت = الألوهة، علمٌ يبحث عن ذات الله وصفاته، واللاهوتي = العالم.. وفي معجم المنجد، اللاهوت = الألوهة وأصله (لاه) وهو علمٌ يبحث عن العقائد المتعلقة بالله تعالى. قال بعضهم: إنها كلمة فارسية مكونة من (الله) و(أوت = العلم) = علم الله.. وقال بعضهم إنها عربية من مصدر كلمة الله على وزن (ملكوت ـ رحموت ـ لاهوت).. على كلٍّ لم يتبناها علماء المسلمين واستبدلوها بعلم الكلام.

(2) لكي ننصف مفكرينا نقول ((إن الإمام الغزالي)) كان سباقاً إلى الحديث عن الشك /1048 - 1111م/ وذلك قبل ديكارت بكثيرٍ حين قال: [الشكوك هي الموصلة للحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر وقع في العمى والضلالة]. ولا مجال للمقارنة بين الشكين في هذه العجالة.

obeikandl.com

تبدَّت في القرن السابع عشر، ثم بلغ الشك والتنوير أشدَّهما في القرن الثامن عشر وما ان حل القرن التاسع عشر حتى شهد الغرب أبهى عصور فلسفته الحديثة.

عندما يريد أحدنا القاء نظرةٍ ـ متأنيةٍ أو عجلى ـ على المداميك الفلسفية في القرن التاسع عشر، لابد أن تستوقفه ـ شاء أم أبى ـ بعض الأفكار التي يحسُّ إزاءها بصدمةٍ كهربية.

ويوم دفعتني الرغبة إلى دراسة إحدى هذه الأفكار، تصدَّى لي ـ على الفور ـ منظِّرها صقريَّ العينين مهيَّأً بكل ما أوتي من قوةٍ للصدام معي منذ اللحظة الأولى **وخاطبني محذراً:**

اسمع.. (هذا أنا.. وتلك مبادئي) ولا يهمني رضاؤك عنها أو سخطك عليها. ما يهمني هو (صنوي وظلي ومثيلي) ذاك الذي وضع مبادئي نصب عينيه وطبَّقها تنظيراً وممارسة، قولاً وعملاً من تمسك بحرفية **ما قلت:**

(كن عظيماً كالعظماء أو فلتكن خادماً أو أداةً لهم). ولا وسطية (سقراطية) أو (أرسطية) أو (بوذية) عندي فالأمر محسوم(لخ).

قلت له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى: (لست أنت من تفكر أنه أنت إنما أنت ما تفكر). اعتدَّ بنفسه أكثر وتعالى عليَّ بشكلٍ أثار حفيظتي فأخرجني عن هدوئي وعلى غير عادتي تهجَّمت عليه قائلاً: ما أحسبك يا هذا بشراً سوياً. أنت مهووس أحمق، متهور، عُصابي مصاب بـ (البارانويا)=(جنون العظمة). علت شفاهه ابتسامة عريضة وكأني أثلجت صدره بتلك النعوت التي أطلقتها في وجهه فأجاب: ما قلته عني ملاحظة لي لا ملاحظة علي.لقد شرَّفتني وسرَّني وصفك لي لأني فعلاً ((أنا كما قلت عني وزيادة)).

---

(1) نادى (سقراط) بنظرية (الوسط الذهبية) لا افراط ولا تفريط، وأرسطو بقوله: الفضيلة وسط بين رذيلتين، وأفلاطون في كتابه محاورات جورجياس ص 125 بقوله: (النفس المعتدلة، نفس طيبة)). و(سيدها رتا) بعد أن مارس أشد أنواع (اليوغا) حتى كاد أن يُقضى عليه فأنقذته فلاحة وراح بعدها يجلس تحت شجرة (البو = التين) طويلاً إلى أن جاءته (الاستنارة) فسُمِّيَ بـ (المستنير بوذا) ساعتها طالب بـ (الماجا = الطريق الوسط). للوصول إلى النيرفانا.

ثم قطَّب حاجبيه والتفت نحوي بكل ازدراءٍ وسألني باستعلاء: أتعرف مع من تتكلم ياهذا؟ ولم ينتظر إجابتي.بل تابع قائلاً: اسأل العظماء عني، اسألهم من رسم لهم سَمْتَ الخطِّ المتصاعد هدفاً فاتَّبعوه وسكنوا في عليين.أنا وبكل تضخم (الأنا النرسيسيَّة). (فريدريك نيتشه)

يمَّمْت وجهي شطر أستاذي الجليل الدائم (البُحْران) السابح في ملكوت العلم الغارق في بحر الفلسفة اللجيِّ. وقفت صاغراً أمامه كما يقف المريد في حضرة شيخه البهيِّ ((قطب الغوث)) وانهالت أسئلتي عليه تَتْرى مستفسراً من خلالها عن هذا ((النيتشه)).

تنهَّد وقال بلهجةٍ شفيفةٍ وكأنه يعاتبني: من دلَّك على هذا الرجل؟!! [إنه إشكالية ومحط أخذٍ وردٍّ حتى من الفلاسفة أنفسهم. قال عنه الباحث (هنري ايكن) في كتابه (عصر الإيديولوجيا): ((لو أُجري استفتاء مع الفلاسفة المحترفين قبل الحرب العالمية الثانية عن منجزات (نيتشه) لكانت النتيجة بأنه فيلسوف أدبيٌّ لامع قاصر غير مسؤول، ولا يجوز أن تؤخذ آراؤه الفظَّة نوعاً ما مأخذ الجد)). قلت مستغرباً: عفوك سيدي. هل تعتقد أن آراءه فظة نوعاً ما فقط؟ أم أنها فظة بشكلٍ لا يُطاق؟ قال: أنا أُنبيك بما قالوا عنه ولا أنبيك برأيي فيه. لقد تحدث عن (بلاهته الفطرية وإلحاده الصبيانيِّ(1) (سانتيانا) في كتابه (مذهب الأنا). وراح يسرد لي من كتاب ((مذهب الأنا)) بعض ما قيل عنه بشكلٍ مختزلٍ مُركَّزٍ تكاد تكون كل جملةٍ قالها لي محطة يجب الوقوف عندها طويلاً. ومن جملة ما قال: ((إن نيتشه لم يفلح في ايجاد نظامٍ فلسفي))(2) ((إلا أنه من روَّاد الفلسفة الفردية الجامحة))(3) ((عُومل كرائد لإيديولوجيا القوة غير المعقولة التي كَمُلَ تألُّهها في النازية والفاشية)). ((ولقد أعلن (موسوليني) صراحة عن إعجابه به))(4). لقد كان نيتشه كثير الإكبار بعظماء الرجال أمثال (نابليون). (كما كان كارهاً لأخلاق العبيد متوقعاً أن اليهود هم منشئوها)(5). ولقد بشَّر في كتابه (إرادة القوة) بمجيء العدمية فقال: ((ما أرويه لكم هو تاريخ القرنين الآتيين إني سأروي لكم ما سيأتي ولا يمكن له إلا أن يأتي. هو مجيء العدمية)) (أي القرنين العشرين والحادي والعشرين

الذي نحن فيه. ونسب إلى نفسه دور الريادة في هذا المجال فقال: ((أنا أول أصحاب النزعة العدمية في أوروبا)).(الخ)

قلت: وكيف كان أسلوبه في الكتابة؟ قال: (لقد كتب شعراً فلسفياً مرمَّزاً ونثراً شديد الوضوح بعكس ((هيغل)) الذي كانت معانيه عميقة المأخذ)(6). قلت زدني! فقال: إسمع ما قاله هو عن أسلوبه. قال: ((إن في أسلوبي رفضاً ورماحاً وطعناً، ولغتي سخية كريمة وعصبية عنيفة، إنه أسلوب لاعب السيف بسرعة لمعانه)). كما تحدث عنه الناقد الفلسفي (ستيبيان أو دويف) وقال: ((إن النتشوية من حيث هي تيار فلسفي لا يمثلها إلا فيلسوف واحد. أتعرف من هو؟ إنه نيتشه)) (7). قلت: زدني زادك الله. وعندما أحس أستاذي الجليل بأن المريد يطلب المزيد المزيد أجاب: يابني.. إني من الذين إذا سئلوا أجابوا وإذا أجابوا اقتضبوا وإذا تحدثوا أوجزوا، سأروي لك بعض ما قاله هو عن نفسه: قال: ((إن المستقبل سيقوِّم الماضي إلى ما قبل نيتشه وما بعد نيتشه)) أي القرون المظلمة قبله وقرون النور بعده وسيتغير رمز (ق.م) و(ب.م) ويصبح (ق.ن) و(ب.ن) أي قبل وبعد نيتشه ((لأن عيسى سَيُنْسى تماماً بعد أن أنزله الفيلسوف الألماني عن عرشه وتربَّع في مكانه))(8). وعندما أهدى كتابه إلى (تين) كتب عليه بخط يده العبارة التالية: (إن كتابي هو اعظم كتاب ظهر في العالم) فهل سمعت بكاتبٍ غير نيتشه نعت كتاباً له بأنه أعظم كتابٍ في العالم؟. لذا أنصحك يا بنيَّ أن تغوص في أعماق مؤلفاته بنفسك وإياك أن تراه من خلال أذنك فقط لأنك إن فعلت هذا فإنك تقرُّ سلفاً بعجزك وتعترف اعترافاً صريحاً بأنك لست سوى وسطٍ ناقلٍ وجامعٍ (بيبلوغرافي). ليس إلا. إياك أن تراه بأذنك فقط. فما كتب عنه وجهات نظر تمثِّل آراء كاتبيها. اسمعه يا بني بعينك. قلت: وهل تسمع العين؟ قال: نعم. لكن الأذن لا ترى والذين يرون بآذانهم صغار. أما ـ العين فإنها تسمع وترى. فكثيراً ما يُرى ويُسمع كاتب السطور من خلال ما يهمس

---

(1) العدمية: هي الإخفاق في ايجاد أي معنى للحياة. والعدمية عنده نوعان (منفعلة) وهي دلالة ضعف وتتمثل في الراحة والتأمل والهروب من الواقع. و(فاعلة) ويبشر فيها بـ (دلالة القوة المتعاظمة للإرادة والفكر).

به في أذن السطور. الحكم من غيراطلاع.. يا بني ضربٌ من عملية اجتراءٍ على الحق، إقرأ مؤلفاته مجرَّداً من الهوى مبرَّءاً من الغرض، ولك الحق ـ من بعد ـ أن تكون معه أوتكون عليه أو بين بين.

لمحة موجزة عن حياة نيتشه / 1844-1900م /

أبوه قسيس، وأمه تقية ورعة. كما أن معظم أجداده من رجال الدين. ولد في (روكن) في بروسيا يوم ميلاد ملكها (فريدريك وليام الرابع) فأطلق عليه أبوه اسم فريدريك تيمُّناً باسم الملك. توفي أبوه وتركه صغيراً فأشرفت على تربيته جماعة من النساء الصالحات التقيات وأسرفن في ملاطفته إلى درجةٍ أرهفن بها شعوره إلى حدِّ الشفافية (الرِّختريَّة).

كان يمقت أطفال السوء إذا سرقوا الطيور من أعشاشها أو قاموا بألعاب عسكرية خشنة تناقض لطافته. كان يقرأ الإنجيل بطريقةٍ تهزُّ المشاعر وتدخل السامع لقراءته في محراب التبتُّل والخشوع، حتى أطلقوا عليه لقب (القسيس الصغير). إلا أنه عندما بلغ من العمر ثمانيةً وعشرين عاماً انقلب ذلك اليافع الشفيف اللطيف المفرط الحساسية رأساً على عقبٍ وتغير بزاوية مئة وثمانين درجةً، إذ تحول من متدينٍ عوَّل عليه (اللاهوتيون) ورجال (الإكليروس) مستقبلاً مشرقاً إلى منكرٍ لإله آبائه وأجداده، وراح يبحث عن إلهٍ جديد. ويذكرنا ذلك كما تقول (الموسوعة الفلسفية المختصرة) بـ (جان جاك روسو) الذي كان دائم التنقل من عقيدةٍ إلى أخرى(9).

عافت نفس نيتشه النساء والخمرة[لخ] والتدخين واعتقد بعجز المدخنين أو الثملين عن صفاء الإدراك ووضوح الفكر. ويوم بلغ عامه الواحد والعشرين، وقع في يده كتاب (شوبنهور) بعنوان (العالم كإرادة وفكرة) فقرأه بنهمٍ ووعيٍ مستنيرٍ

---

(1) لقد حرَّم أفلاطون من قبل على الحاكم شرب الخمرة لأن مصير الأمة كلها بيده وذلك في كتابه (جمهورية أفلاطون). حتى إن (المغيرة بن الوليد) والد خالد بن الوليد قبل الإسلام حرَّم على نفسه الخمرة حتى لا يسيىء إلى قبيلة بني مخزوم.

مبكّرٍ فقال: ((لقد بدا لي أن شوبنهور كان يخاطبني شخصياً ويوجه كلامه إلي وخُيِّل إلي أنه ماثلٌ أمامي))(10).

وعندما بلغ من العمر ثلاثةً وعشرين عاماً سيق إلى الخدمة الإلزامية، وكم كانت رغبته جامحةً في أن تعفيه الحكومة من الجندية بسبب ضعف بصره ولكونه الابن الوحيد لأمه الأرملة إلا أن الجيش أصر على بقائه في الخدمة الإلزامية. وعندما سقط من فوق جواده على الأرض ـ وهو يؤدي الخدمة ـ أصيب بكسورٍ في أضلاع صدره فسرَّحوه من الخدمة، ولازمه المرض طيلة حياته. وعندما سُرِّح تغيرت نظرته تجاه الجندية، إذ كان قبل الالتحاق بها كارهاً لها، نافراً منها. وبعد تسريحه، عشقها واستمات في سبيل العودة إليها، لكن صحته حالت بينه وبينها. نال درجة الدكتوراه في الفلسفة وعيِّن في جامعة (بال). تأثَّر في حياته بالموسيقي العبقري (ريتشارد فاجنر) الذي أحبه حباً وصل به إلى درجة التماهي، فتعلم نيتشه العزف على البيانو وكتب بعض الألحان وأقسم أن الحياة بغير الموسيقى لا تُعاش، فقال: ((الحياة خطأٌ بغير الموسيقى)). ويوم قامت الحرب بين ألمانيا وفرنسا عام 1870 حاول حمل السلاح مع المقاتلين، إلا أن ضعف بصره أقعده عن الاشتراك في القتال، فاكتفى بالقيام بأعمال التمريض في الجيش. ولحساسيته المفرطة ـ كما أسلفنا ـ أثّر منظر دماء الجرحى على صحته، فمرض وأرسل إلى بلده محطَّماً منهاراً. ولقد وصفوه بأنه ((كانت له روح الفتاة مرتديةً درع الجندي)). وكان إضافةً إلى أنه أعشى البصر مثل شوبنهور فقد كان يحمل جسماً نحيلاً عليلاً كثير الأوجاع ينتابه صداعٌ مزمن. لم يكن نيتشه وفياً لأساتذته ومعلميه كما يقول (ول ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة)، بل كان يهاجم سائر الذين أثروا فيه أشد الأثر. وكأنه يسدد لهم بعض الديون المستحقة عليه.هاجم أفلاطون الذي استمد فكرته الرئيسية منه.كما هاجم الموسيقي (فاجنر) الذي نوهنا عنه سابقاً، حتى إن أستاذه (شوبنهور) الذي أعجب به أيما إعجابٍ، لم ينج منه فكان في تصرفاته هذه عكس تصرف (أرسطو) الذي على الرغم من معارضته لبعض آراء أستاذه (أفلاطون) فقد بقي على احترامه له ولما مات أفلاطون شيعه أرسطو وكرَّمه تكريماً يكاد يبلغ حد الآلهة لكنه قال: ((إني أحب أفلاطون، لكن حبي للحق أعظم)).

في كتابه (هكذا تكلم زارادشت)

لنيتشه العديد من الكتب، إلا أن الأهم والأشهر باعترافه واعتراف من كتب عنه هو كتابه (هكذا تكلم زارادشت) حيث استطاعت فيه الفلسفة امتطاء صهوة الشعر فكان واحداً من أعظم الأشعار في الأدب الغربي (11). ولا بد من التنويه إلى أن زارادشت) المولود حوالي القرن السابع ق.م صاحب كتاب (الزاندافستا ــ الأبستاق) لا علاقة له بهذا الكتاب أبداً وإنما تلبَّس ((نيتشه)) شخصية زارادشت وكتب بلسان حاله ما أراد هو لا ما جاء به زارادشت الذي رأى أن (أهورامزدا ــ إله الخير والنور) و(أهريمان = قوة الشر والظلمة)(لخ).

لقد رأى نيتشه في كتابه هذا أنه حقق اكتشافاتٍ تنبؤية وأنه كتابٌ عزَّ نظيره فقال عنه: (إنه درَّةٌ يعجز الشعراء عن الاتيان بمثله). لن أقف عند هذا الكتاب لأن مقطعاتٍ كثيرةً منه سترد في سياق البحث هذا، وأكتفي بالقول إن نيتشه من خلال هذا الكتاب قد أعلن عن موت الإله ثم سعى فيه إلى خلق الإنسان الأعلى أي السوبرمان لا إلى خلق الجنس البشري بقضِّه وقضيضه وعجره وبجره حيث كان يصف الشعب دائماً بالرعاع والقطيع.

كثيراً ما عانى نيتشه من صعوباتٍ حين طبع هذا الكتاب فطبع منه أربعين نسخةً وزَّعها على أصحابه آملاً أن يقرأ أصحابه الكتاب ثم يميلون عليه بحثاً ودراسةً لتعريف الآخرين بفحواه، إلا أن ذلك لم يحصل فلم يمدح أو يعلق أو يطري على الكتاب أحد، فاستاء نيتشه من ذلك استياءً شديداً وبخاصةٍ وأنه من أصحاب (الترجيع القريب والبعيد معاً)(بر) من مبدأ (السكوت عن عملٍ جيدٍ هو أسوأ أنواع النقد)، إلا أنه توقَّع أن كتابه هذا سينال حق قدره في المستقبل غير المنظور، فقال: سوف يجد كتابي غايته ذات يوم، وهو يومٌ لن يقع عليه بصري، عندئذٍ سيكشفون كتبي، وعندئذٍ سيكون لي قُرَّاء، ومن أجلهم ينبغي لي أن أكتب، ومن أجلهم ينبغي

---

(1) وعندما جاء المجوس جعلوها مثنويةً زارادشتية، ولبراعة أتباع زارادشت في السحر، فلقد أطلق عليهم علماء الإسكندر المجوس، ومنها جاءت الكلمة الإنكليزية **magic** = السحر.

(2) حسب تصنيف علماء النفس ومنهم (يونغ).

لي تحديد أفكاري الأساسية). وما حصل له حصل لشوبنهور من قبل إذْ بقي حتى أيام كهولته فيلسوفاً مجهولاً. ولم يكتف نيتشه بأن تنبَّأ بمستقبلٍ باهرٍ لكتابه(12)، بل تنبَّأ أيضاً بأنه (سوف يأتي يومٌ ينشئون فيه كرسياً في الجامعة لدراسة كتابه هذا). وإذا اعتبرنا تنبؤاته لغواً أو وهماً دونكيشوتياً تراءى له أو خرافةً ابتدعها ليعزي بها نفسه (فالحقائق الكبرى تبدأ خرافات) كما يقول برناردشو(لخ).

إذ إن ما حصل قد خطَّأ تصوُّراتنا عندما صدقت تنبؤاته العلمية المدروسة بشأن هذا الكتاب، وفي يومٍ لم يقع عليه بصره أيضاً كما توقع. لأن التنبُّؤ نوعان غيبي وعلمي، فالغيبي من اختصاص عالم الغيب والشهادة، أما العلمي فقد يتنبَّأ الطبيب بموت مريض نتيجة تحصيله خبرةً طبيّة وهكذا.

ألم يقل (سيجموند فرويد) عن نيتشه (إن نيتشه يعرف نفسه معرفةً أكثر من أي إنسانٍ آخر عاش، أو من الممكن له أن يعيش). كما لاحظ فرويد أن (تنبؤات نيتشه ولمحاته الثاقبة تتفق على أعجب نحوٍ ممكن مع النتائج التي وصل إليها التحليل النفسي بعد كثيرٍ من العناء، فلقد بدأ (جورج برناردز) المولود باسم (كوهين) بإلقاء محاضراته عن كتب نيتشه في كوبنهاجن عام1888 فاكتسب نيتشه بعدها في الأعوام العشرة التالية شهرةً وسعة دون أن يعلم بذلك(13)، ثم نال شهرةً عالميةً واسعة في أوائل القرن العشرين، حيث بدأ الاهتمام بكتبه،ليس على صعيد القراءة فقط بل هناك من قرأها وهضمها وتمثلها وطبقها على أرض الواقع.

فها هو هتلر يتبنى كتابه ويقدمه هديةً لأصدقائه بعد أن يكتب عليه إهداءً بخط يده، حتى إنه أخذ صورةً تذكاريةً له بجانب تمثال نيتشه مما حدا بأخته قبل وفاتها إلى أن تقدم الشكر إلى (الفوهرر = القائد) لما قدمه لأخيها من طيب حفاوةٍ وتكريم (14).

---

(1) (ألم تبدأ الحقائق بالخرافات؟ ألم يبدأ السحر بالخرافة ثم انتهى بالعلوم؟ حيث أنشأ لنا السحر طب الصيدلية وعالم المعادن وعالم الفلك إلخ.. أنظر كتاب (ول ديورانت قصة الحضارة ج1 ص 115.

فلسفة نيتشه

لا يمكن الإلمام بفلسفة نيتشه إلماماً كاملاً من خلال بحثٍ واحد، لكنني سأحاول الوقوف عند أهم أفكاره مقتضباً من الشرح ما أمكن، واضعاً في الحسبان إيفاء الموضوع حقه.

رأيه في الحب والزواج:

(**الحب لا يليق إلا بحثالة الرجال**). هذا ما قاله نيتشه، وهؤلاء الحثالة لهم مطلق الحرية في الحب والزواج، متى شاؤوا وبمن شاؤوا. وهنا يتماثل مع أفلاطون في المدينة الفاضلة حين سمح لطبقة (البرونز ـ عامة الشعب) بالزواج باستثناء طبقتي (الجنود = الفضة) و(الحكام = الذهب). أما عظماء الرجال عند نيتشه فلن يُسمح لهم بالزواج عن طريق الحب خشية أن يتزوج الأبطال بالخادمات والعباقرة بالخياطات وعارضات الأزياء..إلخ.

وعندما يقع هؤلاء في الحب لن يسمح لهم باتخاذ قرار الزواج والارتباط بمن أحبوا، فالحب يعمي البصر والبصيرة، ويفقد الحكمة وهذا يؤثر على مجرى حياتهم كلها (إن على خير الرجال أن يتزوجوا خير النساء)، فالزواج ليس مجرَّد نسلٍ يخضع للكم فقط، بل هو وسيلةٌ لتحسين نسلٍ نوعيٍ أكثر تطوراً ورقياً. لقد خطَّأ نيتشه شوبنهور حين ظن أن الحب عاملٌ من عوامل تحسين النسل لأن النسل النوعي في رأي نيتشه لا يكون إلا من خلال زواج الأرقى من الذكور من الأرقى من الإناث، لا بزواج الأرقى بالأدنى ولو كان ذلك عن طريق الحب. إن إنكار نيتشه الحب على الإنسان هو إنكارٌ لصفةٍ إنسانية أسمى في المرء السويِّ الأمثل، وبالتالي إنكارٌ لجزءٍ هامٍ من إنسانية الإنسان. ألم يقلْ أراغون: (لا ثقافة بدون الحب، والذي يحبني يخلقني). وقال نزار قباني في كتابه (أشهد ألا امرأة إلا أنت: أعشق يا حبيبتي.. إذاً أنا موجود).

ونعتقد بهذا الشأن (والاعتقاد مسألةٌ ظنية لا قطعية) لكنها أقرب إلى المنطق من خلال إخضاعها للاستقراء ثم الاستنتاج. **نعتقد أن لموقف نيتشه هذا جملةً من الأسباب من أهمها:**

(أ). ما ذكره كتاب (أعلام الفكر الأوروبي) لـ (هنري توماس) إنه كان فاتراً من الناحية الجنسية فتوراً أجبره على الانصراف عن المتع الجنسية فأحزنه هذا الأمر كثيراً، وأزعجه وأفزعه وهزَّه من الداخل(15).

(ب). عندما أحب في يفاعته فتاةً فنلندية اسمها (لوفون سالوم)(16) ملكت عليه قلبه، عندما أحبها ولم تبادله الحب بل أعرضت عنه، فرأى في إعراضها منقصةً من قدره وطعناً لشخصه في الصميم، فانبرى (كقصة الثعلب والعنب) يحط من قيمة الحب وقدر المرأة فقال: (إن المساواة بين الرجل والمرأة مستحيلة)، (فالرجل في رأيه يعدُّ للحرب، والنساء وجدن للترفيه عن المحاربين[لخ]، وكل ما عدا ذلك سخافة). وقال أيضاً: (إذا ذهبت إلى النساء، فلا تنس السَّوط)(17). وموقفه من النساء كموقف شوبنهور منهن، إذ كان يكره أمه كرهاً أعمى، فلقد كانت أمه ملِّمةً بالأدب، فافتتحت بعد وفاة أبيه صالوناً أدبياً زاره غوته، ومارست أمه فيه الهوى المباح[بر]. ومما قالته لابنها عندما زار صالونها (ما أثقلك علي؟ إني لتهون عليَّ أية تضحية إلا حضورك إلى هنا)(18). فتحول كرهه لأمه إلى كره نساء العالم أجمع. وكلاهما انطلق في كرهه للمرأة من مبدأ (الفعل ورد الفعل). إذ أن (كل فعلٍ يعقبه رد فعلٍ مساوٍ له في الطاقة مضادٍ له في الاتجاه). ولْنسْألْ نيتشه: إذا كان الحب لا يليق إلا بحثالة الرجال كما زعمت فبأي وصفٍ تصف نفسك عندما وقعت أسير حبٍ أعمى بصرك وبصيرتك؟.

نظرته إلى بعض الدول والشعوب في عصره

وصف شعب إيطاليا بأنه يتمتع بالعنف وجلد الرجولة وكبرياء الأرستقراطية، ووصف روسيا بأنها وحش أوروبا الأشقر، وأن حكومتها قوية لأنها لاتعرف القيادة البرلمانية وذلك قبل ثورة 1919 الاشتراكية. ولم يعجب أن يجد روسيا تبسط

---

(1) يذكرنا ذلك برأي أفلاطون في الجمهورية الفاضلة بما يتعلق بـ طبقة (الفضة ـ الجند).

(2) يذكرنا صالونها بصالون (هنريت هيزر) الذي افتتحته في ألمانيا وكان يغذيه اليهودي الثري (موسى مندلسون) حيث كان صالوناً ظاهره الثقافة وباطنه الدعارة وذلك لحرف شباب ألمانيا، أما صالون أم شوبهاور فلم يكن له طابعٌ سياسي.

سلطانها يوماً لتصبح سيدة أوروبا(لخ). وكان يخشاها لأنه يرى أن قوة الإرادة فيها أشد بأساً من ألمانية. وأعجب بثقافة فرنسا فقال: (أنا لا أؤمن إلا بالثقافة الفرنسية) واعتبر أن كل ثقافةٍ أوروبيةٍ أخرى إلى جانب الثقافة الفرنسية كلامٌ فارغ(19)، كمااعتقد أن أفكاره ستُفهَم فيها أولاً(20) ووصف فولتير بأنه سيد العصر العظيم، وأكد أن كل ما في أوروبا من سموٍّ في الذوق ونبلٍ في الشعور والأخلاق من صنع فرنسا. وأسوأ شعبٍ في نظره هم الانكليز لأنهم أفسدوا العقل الفرنسي بأوهام الديمقراطية(21).

فقال: (ألا من يخلص أوروبا من انكلترا، ويخلص انكلترا من الديمقراطية). أما بلده ألمانية فقال: (إن شعبها يمتاز بطبيعةٍ رزينة وعرقٍ يبعث الأمل إلى أن تنهض ألمانيا يوماً لتخليص العالم وإنقاذه. إن في الشعب الألماني فضائل رجولةٍ أكثر مما في الشعبين الفرنسي والانكليزي، إنهم مثابرون صبورون جبارون، وهذا أدى إلى تفوقهم وإلى إيجاد نظامٍ عسكري جعل أوروبا دائمة القلق من هذه القوة العسكرية). ولئن رأى نيتشه أن الألمان هم سادة الشعوب فإن مكيافيللي رأى أن الإيطاليين هم المتفوقون على غيرهم من الشعوب وهم النسل المباشر للرومان(22)(بن).

موقفه من الاشتراكية والمساواة والديمقراطية

يرى(فرانز مهرنغ) أن فلسفة نيتشه مرتكزة على الكفاح ضد الاشتراكية والنضال البروليتاري، فالاشتراكية منافية للطبيعة البشرية، والأسس البيولوجية، لأنها (أي الإشتراكية) إن وُجدت فلن يكون هناك فقراء وأغنياء(23) ولا مأمورين

---

(1) وفعلاً كاد أن يتحقق حلمه قبل انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك أوروبا الشرقية.

(2) يظهر أن نغمة الشعب المختار قد رافقت سائر الشعوب، فاليونان يرون غيرهم (بربراً) والعرب يرون غيرهم (أعاجم)، واليهود يرون غيرهم (غويما).. كما أن الهنود الأمريكيين يصورون أنفسهم شعب الله المختار أيضاً وقد خلقه (الروح الأعظم)خاصة ليكون مثالاً يرتفع إليه البشر. وهناك قبيلة من القبائل الهندية تطلق على نفسها(الناس الذين لا ناس سواهم) وأخرى تطلق على نفسها (الناس بين الناس) وقال (الكاريبيون caribs): نحن وحدنا الناس.. أنظر قصة الحضارة- ول دويورانت ج 1 ص 95. ولذا فقد نقد فولتير كل ذلك وقال ليس لله شعبٌ مختار.

وآمرين لكونهم متساوين، وهذا لا يمكن لأنه يناقض ثنائية الحياة، فكما أن الديمقراطية هي الشكل التاريخي لسقوط الدولة، فإن الاشتراكية الراديكالية هي تعزيزٌ لقوى الاستبداد(24). الحياة فقدت قيمتها عندما تخلينا عن أخلاق البطولة وأخذنا بمبدأ المساواة والديمقراطيةالتي تكفر بعظماء التاريخ (أصلاً لم يخلق التاريخ سوى العظماء). المساواة جنون، والفقير شخصٌ فاشلٌ فيزيولوجياً لأنه يحاول أن يسرق من الغني سلطانه وثروته، وهذا تدميرٌ لتراتب القوى.

إن الديمقراطية هي سخافة حكم الأكثرية والعدد ويجب استئصالها والقضاء عليها، وأول خطوةٍ في ذلك هو تحطيم المسيحية التي تنادي بقيمة الإنسان وبمساواته أمام الله(25). وانتصار المسيح هو انتصارٌ للديمقراطية، فهو المسيحي الأول الثائر على ضروب الامتياز. عاش مكافحاً من أجل المساواة بين الناس في الحقوق.

ولو عاش هذا المسيحي الأول في يومنا هذا لقضي عليه بالنفي إلى سيبيريا. ألم يقل(سيد القوم خادمهم)(لخ) وهذا قلبٌ للحكمة السياسية والعقل السليم. إن أفكار الانجيل لا يمكن أن تتأصل جذورها إلا في الطبقات السفلى، إذ عندما يتربع العبد على العرش ينشأ التناقض ويصبح أحقر الناس أفضلهم.إن المساواة مناقضة حتى لنظرية البقاء للأصلح(26)(بر). والذين يدعون إلى المساواة يدعون إليها لعجزهم عن أن يكونوا جبابرةً أقوياء.

والضعيف الذي يقول (إن الحياة لا تساوي شيئاً) كان خيراً له أن يقول (أنا لا أساوي شيئاً).

منشأ الدولة عنده

إذا رأى أفلاطون على لسان سقراط (أن الدولة تنشأ عن عجز الفرد عن سد حاجاته بنفسه وافتقاره إلى معونة الآخرين)، ورأى أرسطو أن الدولة هي مجموعة من المواطنين ذات عددٍ كافٍ لتحقيق جميع أغراض الحياة، ورأى الفارابي من بعدهما

---

(1) قال السيد المسيح (من أراد أن يكون منكم سيداً، فليكن للجميع خادماً).

(2) أنظر بروتوكولات حكماء صهيون.

(أن الدولة تنشأ عن حاجة الأفراد إلى التعاون). وحذا حذوهما ابن خلدون في مقدمته، ورأى هيغل (أن الدولة ليست من صنع الأفراد ولا مثالاً أعلى متوالداً من الجماعية بل هي تحقيق للفكرة الإلهية أي (الدولة إلهٌ على الأرض)(27)، فإن نيتشه لم ير منشأ الدولة كذلك.

فالدولة عنده منظمةٌ سياسية بل لا أخلاقية، منظمة تنشأ بفعل غريزة الحق عند الأقوياء بهدف وضع حدٍّ لهوس العنف المجنون لدى الضعفاء، لتكون بمثابة (كمَّاشةٍ فولاذية) تشدُّ على المجتمع بحيث يبدأ تمايزه بالتشكل (بنية فوقية هرمية جديدة)(28).

وهي لا تبدأ بعقدٍ ولا بتعاون إذ ما أهمية العقود بالنسبة إلى ذلك الذي خُلق بطبيعته ليكون قائداً سياسياً وعنيفاً وقوياً (القوي لا يتعاقد مع ضعيفٍ منسي). (لا صحة لما يقال إن الدولة نشأت من تعاقد الأفراد فيما بينهم، لكن الذي أنشأ الدولة هم جبابرةٌ من الوحوش الكواسر السادة الأقوياء ذوو المقدرة الحربية والتنظيم العسكري الذين أنشبوا مخالبهم في سكان بلادٍ تفوقهم عدداً(29). **وللدولة في رأيه وظيفتان:**

داخلية ـ وهي التشريعات والعقوبات وما إلى ذلك.

وخارجية ـ وتبدأ في الحروب والفتوحات كميكيافيللي الذي رأى أن الدولة تعتمد في جوهرها على العدوان(30)، فالحرب هي الشكل الأبدي لوجود الإنسان المتفوق، والدولة توجد من أجل هذه الحرب(31)، الدولة وسيلة والحرب غاية. ولذا فإن الحرب فوق الدولة، وعندما تتحول الأمة عن الحرب، فإن ذلك علامة انحطاطها، وبداية زوالها، كما أن أهم وظائف الدولة التربوية هو تحويل الشعب إلى عبيد (32). وهذا القول يشبه قول (هيغل) معكوساً. يقول (هيغل) (إن نفس الفرد يجب أن تضحي بكل شيءٍ في سبيل نفسٍ هي الدولة)(33). إن الدولة عند نيتشه ليست سوى أداة الإنسان العبقري الفذ، وتسيير أمورها يجب أن يُعهد به إلى أفرادٍ طغاةٍ جبارين، وفي الحالة المثلى إلى زعيمٍ مستبدٍ، أو فوهرر). فكيف لا تستهوي هذه الآراء شخصيةً مثل هتلر الذي يفوق نيتشه جبروتاً وجنون عظمة. ذلك الذي

كان يضع كتاب الأمير لمكيافيللي بجانبه، يقرأ فيه كل ليلةٍ قبل أن ينام. قال هتلر بشأن الدولة قولاً يماثل قول نيتشه: (إن الدولة وسيلة لتحقيق هدفٍ ما)(34).

نيتشه واللاهوت

الإيمان بالجسد عند نيتشه أرسخ من الإيمان بالروح، فالروح تابع للجسد(35)، والجسد هو الظاهرة الأكمل لإرادة القوة وليس هناك سواه، فهو الذات التي تبحث بعينيِّ الحواس وتسمع بأذنيِّ الروح. بعكس أفلاطون الذي قال: (لنفتح عيون الروح بإغلاقنا عيون الجسد). ((ليس الله موضوع فلسفة ـ كما يقول (هوبز) ـ بل هو موضوع إيمان)). إلا أننا مضطرون للحديث عن هذا الموضوع لأن اللاهوت يحتل حيزاً واسعاً في فلسفة وأفكار نيتشه. يقول نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زارادشت) وأورد ماقاله بتصرفٍ بغية الاختصار: ((نزل زارادشت ليعظ الناس، لكن الجماهير انشغلت عنه بمشاهدة رجلٍ يرقص فوق حبل. ولما سقط الراقص ومات، حمله زارادشت قائلاً: (عشْ في خطر) لكن تذكر أن تكفر بالديانات كلها))[لخ].

((ثم قابل زارادشت ناسكاً هرماً صار يحدثه عن الله فتساءل زارادشت قائلاً: يبدو أن هذا الناسك المسن لم يسمع بعد وهو في غابته أن الله قد مات وماتت معه جميع الآلهة)). لم يعتبر نيتشه نفسه ضد المسيح قدر ماكان ضد المسيحية التي وجد أنها تضعف الإنسان وتجعله مريضاً رعديداً وتسعى به نحو الأنسنة لمناداتها بقيمة الإنسان المطلقة وبمساواته أمام الله. وكان خصمه الشيطاني هو (بولس)[بو] الذي جعل من سيده المسيح علاَّمةً وجعل من أساطيره الجميلة لاهوتاً(37).

---

(1) ويحضرني بهذا الصدد بيت لأبي العلاء المعري يقول فيه:

هـذي الـديانات ألقـت بيننـا إحَنَـاً وعلّمتنـا أفـانين العـداوات

(2) بولس(رسول الأمم) من أعظم رجال الدين المسيحي، اسمه الأصلي (شاءول) روماني الجنسية يهودي النشأة. كان يضطهد المسيحيين الأُوَل كُلِّف من قبل رئيس الكنيس للذهاب إلى مدينة دمشق لمقاومة المسيحية سنة 35ميلادية وفي طريقه رأى نوراً، وسمع صوتاً يقول (شاءول شاءول..لمَ تضطهدني؟) فقال: مَنْ أنت؟ أجاب الصوت (أنا يسوع الذي تضطهدني) وكاد أن

لقد دعا نيتشه أنداده إلى رفض كل ماهو(أسكاتولوجي = أخروي)، ودعاهم إلى تقديس تراب الأرض الذي هو أقدس من كل مقدس، وأن لايلقوا بالاً إلى الوعود العرقوبية الماورائية لأنها محض وهمٍ وخيالٍ فقال: (أناشدكم أيها الأخوة أن تظلوا أوفياء للأرض، ولا تصدقوا من يخاطبونكم عن الآمال فوق الدنيوية، إن السمَّ يقطرمنهم سواء كانوا يعرفون أم لا يعرفون). (إن الإنسان الذي اخترع فكرة عذاب جهنم أراد أن يعزي نفسه بفكرة تعذيب أعدائه ومضطهديه وظالميه في الحياة الأخرى(38). لقد سفَّه نيتشه سائر المُنْضوين تحت مظلة اللاهوت فقال: (علينا أن نعرف أن رجال الدين واللاهوت والكاهن والبابا لا يخطؤون في كل جملةٍ يقولونها وحسب، بل هم يكذبون أيضاً)(39).

إن إنكار نيتشه للماورائيات تبدى منذ يفاعته كما نوهنا، ويوم دهمه المرض.

قال لأخته وهو في غاية مرضه موصياً إياها (عديني إذا مت ألا يقف حول جثماني إلا الأصدقاء، وأن لا يدخل الفضوليون من الناس، ولا تدعي قسيساً ينطق بالأباطيل على قبري في وقتٍ لا أستطيع فيه الدفاع عن نفسي. أريد أن أدفن في قبري وثياً شريفاً (40). ((فما لست إياه فإنه عندي الله والفضيلة))(41). لقد تنبَّأ نيتشه بأنه سيغدو نبياً بعد موته ويقينه أن من الأنبياء من أصبحوا أنبياء بعد موتهم. ولكم طالب رفاقه أن يركزوا على أناهم فخاطبهم قائلاً: (تشجعوا يارفاقي وانبذوا الفضائل البالية التي يسمونها حميدة التي يرسف بها الجنس البشري.قولوا أنا وكرروها مراراً وتيهوا بها فخاراً، ولست آمركم بألا تكفوا عن قول الأنا، بل يجب أن تصنعوا الأنا)(42). إن أناه المَرَضية وهَّمته بأنه يتربع في أعلى عليين فقال: (إنكم تنظرون إلى ما فوقكم عندما تتشوقون إلى الاعتلاء، أما أنا فقد علوت.. علوت حتى أصبحت أتطلع إلى ما تحت قدمي)(43). بل إن أناه قد سولت له تأليه

يفقد بصره. فذهب شاءول إلى دمشق ونزل عند المسيحيين وانخرط في سلكهم، وسمى نفسه بولس، وأصبح أنشط المبشرين بالمسيحية في القرون الأولى. ثار اليهود ضده وقُبض عليه في أورشليم بتهمة تحريض الشعب، فسُجن سنتين ثم أُفرِج عنه وعاد إلى ما كان عليه، فصُلِب وقُطع رأسه.

نفسه ليحل محلَّ الله فقال: (إذا كان ثمة آلهة، فكيف أقدر أن أتحمل ألا أكون إلهاً؟) (44).

الإنسان الأعلى المتفوق = السوبرمان

لقد بشر نيتشه بمجيء الإنسان الأعلى[1] والإنسان الأعلى هو ذروة هدفه الفلسفي، وظهر حين مات الله. لقد سعى نيتشه لبعث إنسانه الأعلى مركزاً عليه حتى قبل أن يكون نطفةً في الرحم، وذلك عن طريق تحسين النسل من خلال الحفاظ على الدم الجديد الذي ركز عليه بسمارك، والحفاظ على سلامة العرق الذي ابتدعه غوبينو[2]. لأن إنسانه الأعلى هو قمة التطور البيولوجي. ثم يخضعه لمدرسة تدربه على الآلام الجسام ومهام القيادة وإطاعة الأوامر من غير أن ينعم بأسباب الراحة. ويتعلم فيها الضحك ليسخر من سائر المصاعب التي تعترض حياته وبهذا يرتفع فوق الخير والشر، فلا يتردد في اللجوء إلى العنف والقسوة للوصول إلى مبتغاه (أي يغدو شجاعاً لا صالحاً ولا خيراً).

أهم صفات الإنسان الأعلى عند نيتشه:

مستخفٌّ بالموت، فالصالح عنده ليس هو العابد بل هو الساعي إلى الموت. يقول (أحب المستهينين بالحياة والمستخفين بالموت لأنهم أعظم المتدينين الصالحين. أحب الذين ضحوا بحياتهم من أجل هذه الأرض التي نعيش عليها، لا من أجل ماوراء النجوم، لكي تصير الأرض يوماً ما مسكن الإنسان الأعلى).

محبٌّ للحرب

---

(1) شأنه في ذلك شأن يوحنا المعمدان الذي بشر بقدوم السيد المسيح كما يقول الدكتور صلاح قانصوه في كتابه (نظرية الفن في الفكر المعاصر).

(2) غوبينو في كتابه (دراسة في اختلاف العروق البشرية) أشاد فيه بالآريين وقسم البشر إلى عروقٍ ثلاثة (أسود - منذور للعبودية) (أصفر - يمتاز عنه قليلاً) (أبيض - هو السيد المتربع على عرش الشعوب)، ويذكرنا ذلك بتقسيم اليهودي النمساوي شلوتزر الذي ادعى فيه أن (سام - جد الكهنة) (يافث - جد النبلاء) (حام - جد العبيد والأقنان)، وأسقط العرب من نسل سام انظر صلاح قانصوه في كتابه (نظرية الفن في الفكر المعاصر).

(الحرب أم كل الأخلاق)(46). وعلى الأصفياء أن يحبوا السلام من حيث هو وسيلة لحربٍ جديدة. يقول: (أحبوا السلام كوسيلةٍ لتجديد الحرب، وخير السلام ما قصرت مدته)(47).

إن الأمم التي تتحول عن الحرب تبشر بانحطاطها، والحرب الأخلاقية في نظره ليست هي التي تُخاض لصدِّ غزاةٍ محتلين أو التي تُشنُّ لاستعادة أرضٍ مسلوبة أو حقٍّ مغتصب، لكن الحرب الأخلاقية هي التي تمهد الطريق للإنسان المتفوق مهما كانت حقارة أسبابها وفظاعة نتائجها. حتى أن الثورة خير كما يرى، لا لأنها خير بحد ذاتها، فالثورة تؤدي إلى سيادة الجماهير وعامة الشعب، وهي أسوأ أنواع الحكم، لكنها خير لأنها كفاح والكفاح رمز العظمة الكامنة في الرجال، فمن بين الفوضى يبزغ أعاظم الرجال، كما بزغ نابليون من أنقاض الثورة الفرنسية(48). إن الشر والحسد والحقد والبغضاء والكراهية لا بد منهم من أجل الكفاح لاختيار الأفضل، ولو لم يكن الشر خيراً لزال عن الوجود. لقد تنبَّأ نيتشه بظهور جيلٍ جديدٍ من الطغاة، وتكهَّن بوجود مثالٍ (بلوتوقراطي) فظٍ هدفه الحرب ثم الحرب كرَّةً أخرى.

قوي غير ضعيفٍ ولا شفوق

(لا إرادة فوق إرادة القوة). (القوة هي الخير ومعيار الأخلاق) والشفقة ضربٌ من الشلل العقلي (كن قوياً تكن خيِّراً وخلوقاً).

لا وجود للشفقة في قاموس حياة نيتشه، حتى إن زيارتنا للمرضى لا علاقة لها بالشفقة. يقول: (إن زيارتنا للمرضى هي نزعة استعلاءٍ منا نحو هؤلاء المرضى العاجزين). و(حين نعجز أن نعلم أحداً الطيران علينا أن نعلمه كيف يسرع في السقوط)(49). (وإذا أردنا نحن بلوغ الذرا، فعلينا أن نتسلقها بجهدنا ولا نطلب أن نحمل إليها حملاً على ظهور الغير ورؤوسهم(50)، لأن الذي يرفعك بإمكانه إسقاطك متى شاء. علينا ألا نمدَّ يد العون إلى الضعفاء وبخاصةٍ إلى الهاوين منهم. يقول: (يجب ألا نمسك بالهاوين إلى القاع، بل ينبغي دفعهم أيضاً) ليسرعوا في السقوط. إن على الضعفاء أن يضحوا بأنفسهم في سبيل الصفوة المختارة من مبدأ (حق القوي على الضعيف). وما الحياة سوى استعلاء الأقوياء على الضعفاء واستغلالهم وابتلاعهم كما

يبتلع السمك الكبير السمك الصغير. وما الحياة سوى معادلةٍ ذات طرفين مستغَلٍّ ومستغِل، فهناك أخلاق حيواناتٍ مفترسة وهناك أخلاق حيونات مسالمة آكلةٍ للعشب. والإنسان الأعلى النتشوي حيوانٌ مفترس إذا دُجِّن وأُسِرَ شُوِّه في روحه، وأصبح مريضاً ودُمِّر باطنياً[لخ]. أما الحيوانات آكلة العشب، فلا تخسر شيئاً إذا دُجِّنت، وما من حيوانٍ كاسرٍ كالإنسان يصنع أسلحته(51) ليدمر بها غيره من الضعفاء.

عديم الرأفة

فما أمات الله سوى رحمته. الإنسان الأعلى لايعذبه ضمير، ولا يخجل من قسوةٍ مارسها ولا يحسُّ بندمٍ نتيجة عملٍ مشينٍ جنته يداه ولو أفنى شعباً بريئاً بحاله، فكل ما عداه حشرات، ومن منا يشعر بوخز ضميرٍ إزاء قتله ذبابةً أو حشرة؟ بمثل هذا يجب أن يعامل الإنسان الأعلى سائر البشر(52)، وليس عليه التزامات إلا حيال أشباهه. أما حيال الكائنات الأخرى التي هي من مرتبةٍ أدنى وحيال كل ما هو غريبٌ عنه، فإن له حق التصرف به حسب هواه(53). الإنسان دود أرض، ومازال يمارس قرديتَّه أكثر من أي قرد.

ورغم أن هذه الفكرة النيتشوية تحمل إقراراً ضمنياً بنظرية التطور لدارون إلا أن نيتشه رفض (الكوجيتو الديكارتية) (أنا أفكر، إذاً أنا موجود). فقال: (أنا أحيا، إذاً أنا موجود). ألم يقل نابليون (القانون كخيط العنكبوت يدوسه الأقوياء ويقع في شركه الضعفاء)؟ ألم يقل هوبز: (الإنسان للإنسان عدوٌّ مبين؟). إن إنسان نيتشه الأعلى هو ذرائعي براغماتي[بر] (نفعي بالدرجة الأولى) لا ينظر إلى الأشياء بقدر قيمتها بل بمقدار نفعها له في حياته، وإن كلمات ((لاتسرقْ لا تقتلْ)) كما

---

(1) يقول ريتشارد نكسون رئيس الولايات المتحدة الأسبق (على أعداء الولايات المتحدة أن يدركوا أننا نصبح حمقى إذا ضُربت مصالحنا. وعندها.. لا يستطيع أحد التنبُّؤ بما قد نفعله بما لدينا من قوةٍ تدميريةٍ هائلة، وعندها فقط سيرتعد أعداؤنا خوفاً منا).

(2) (فعل ـ نشاط ـ عمل) تسمية تطلق على المذهب الفلسفي القائل: إن الحقيقة تصبح في صميم التجربة وإن المعرفة هي كناية عن آلة أو وظيفة تعمل في خدمة مطالب الحياة، وإن صدق قضية عائد إلى كونها مفيدة أو نافعة علمياً وإن الفكر غائي في طبيعته. أنظر موسوعة علم النفس د.أسعد رزوق.

يقول كلمات كانت مقدَّسة في غابر الأزمان. أليست السرقة والقتل من طبيعة الحياة ذاتها(54). ليس ثمة محظور في الحياة على الإنسان الأعلى، فكل ما فيها رهن يمينه (وما الإنسانية سوى لفظةٍ جوفاء لا وجود لها على الإطلاق)(55).

على إنسان نيتشه أن يؤكد على: أولية الغريزة على الفكر، وإذا قال بسمارك (لا محبة للخير بين الأمم، وأن القضايا الحديثة مع الدول لا ينبغي أن يقررها أصوات الناخبين ولا بلاغة الخطب، ولكن أداتها هي الدم والحديد (56)، فإن نيتشه يرى أن إنسانها الأعلى (شيفا) متعصرن (مولوخ) متجدد مصَّاص دماءٍ على الدوام.(لخ)

تعقيبات بانورامية

ـ لن أجادل نيتشه في موضوع اللاهوت من خلال إيماني الشخصي المطلق بالله ولا حتى من وجهة نظرٍ شرقيةٍ عامة، لكن علي أن أقول، وهذا أقل ما يجب أن يقال، لقد حاول نيتشه نسف جهدٍ إنسانيٍ دام طويلاً طويلاً، جهدٍ استطاع الإنسان من خلاله ـ بعد لأيٍ ـ إحداث نقلةٍ نوعية في بنية عقله التركيبي والتحليلي، وذلك بنقل فكرة اللاهوت من المتعدد تجسيداً إلى الواحد تجريداً، والتجريد صفة يتفرد بها المخلوق الإنساني السامي عن سائر مخلوقات الدنيا.

ـ إذا لم يكن السيد المسيح الذي ولد معجزةً وجاء بالمعجزات ـ بإذن الله ـ وهو معجزة المعجزات والذي جعلته المسيحية ـ التي كنت في صغرك ملاكها الأبيض ـ جعلته أقنوماً ثالثاً حلَّ من خلال جسده (اللاهوت بالناسوت)، إذا لم يكن هذا العظيم عظيماً لا يستحق ـ في نظرك ـ أن يتبوأ سدة (إنسانك الأعلى)، فعن أي عظيمٍ بعده تتحدث؟.

ـ إذا طبق الآخرون أفكارك.. أليس من حق الأصحّاء الذين عاصروك أن يزيلوك عن الوجود لأنك لم تكن سليم الجسم باعتراف كل من كتبوا عنك؟.

ـ ماذا تسمي رعاية أختك لك بعد أن فقدتَ عقلك؟ هل تسمي موقفها الإنساني تجاهك نزعة استعلاء منها عليك كاستعلاء الأصحاء حين زيارتهم للمرضى كما

---

(1) شيفا الإله المُهلِك في الأساطير الهندية له ثلاث عيون. ومولوخ إله أسطوري يعيش على مص الدماء.

تصورت؟ أم أن رعايتها لك نبعت من إنسانيتها أولاً قبل أن تفرض ـ ذلك عليها ـ صلة القربى لأن زوال الشفقة من الإنسان يعني زوال الإنسان نفسه.

ـ لقد بنى نيتشه فلسفته على القوة وتنازع البقاء، فجعل من شريعة الحياة شرعة غابٍ وذئابٍ متوجِّهاً بفلسفته إلى قلَّةٍ من المحاربين من طبقة (الإنتلجنسيا)، فحرَّر الفكر الألماني من العناصر الأجنبية، وصار صوت ألمانيا المعبِّر عن روحها العسكرية وإيمانها بالقوة، فنعت بنبيٍّ فلسفة القوة.

ـ تُرى!! هل ولد إنسان نيتشه الأعلى متمثلاً بالدول الاستعمارية التي أدمنت لعق الدم البشري الطازج، وابتلاع الدول التي وصلت إلى (الجيل الثالث أو الطور الخامس حسب التصنيف الخلدوني؟)[لخ]، أم وُلد إنسانه الأعلى من خلال أحادي القطبية خمبابا[بر] الأمريكي حيث استبدل مصطلح حوار الحضارات بمصطلح صراع الحضارات سحقاً ثم محقاً، فالسحق إبقاءٌ للضعيف تحت نير القهر، أما المحق فيعني إزالته عن الوجود.

ـ قد نكون مع نيتشه في بعض ماجاء به بشأن القوة كونها المعيار الأخير للعلاقات الدولية ماضياً وراهناً وآتياً كما نوَّهنا، لأن قوة الحق في عصرٍ مات فيه الحق بأمس الحاجة إلى حق القوة، وهذا ناموس العالم منذ وُجد، لكننا لا نوافقه على كل ما جاء به بشأن القوة، إذ ليس كل عظيمٍ عظيماً من خلال قوته فقط، وبخاصةٍ إذا انطبقت عليه مواصفات إنسان نيتشه الأعلى، لأننا عندما نُقَونن القوة، فإننا نُمَنْهِج ونُبَرْمِج

---

(1) تقول الموسوعة الفلسفية المختصرة ص 11 (إن ابن خلدون رأى أن الدولة تمر بثلاثة أجيالٍ: الأول يبني ويؤسِّس، والثاني يحافظ على ما بناه الأول، والثالث يهدم.ويقول ابن خلدون في مقدمته ص 127 -128: تمر الدولة بخمسة أطوار:

1. طور الظَّفر.
2. طور الاستبداد.
3. طور الفراغ والدعة.
4. طور المسالمة.
5. طور الإسراف والتبذير. وهو الطور الذي يبدأ فيه الهرم فالمرض فالانقراض.

(2) خمبابا وحش الغابة في ملحمة غلغامش.

شرعةً تخدم الإنسان حيثما وجد ثقافياً وحضارياً وعلى الصعد كافة. وبما أننا في موضوع القوة نسأل: هل كان نيتشه متنبياً سبق عصره فيما يتعلق بمسألة القوة، وهل كانت أفكاره من الجدة بمكان، أم أنها مستمدة من أفكارٍ سبقته قرأها فاستهوته، ثم صاغها في قالبٍ جديدٍ ملطَّخٍ بالدم البشري النقي طالباً من الشريحة التي تمثله وتماثله أن تتبنى أفكاره (على حياة عينه ومن بعده أيضاً) لتكون أفكاره شعاراً لفلسفة القوة. أؤكد جازماً أن نيتشه قرأ قول أفلاطون (العدالة هي منفعة الأقوى). ولعل كتاب أفلاطون التالي فيه ردٌ على سؤالنا. يقول أفلاطون في كتابه (محاورات جورجياس) وبخاصةٍ على لسان (كالكليس) وهي شخصيةٌ ابتدعها أفلاطون من عنديَّاته في أماكن متفرِّقة من الكتاب. (القوة هي القانون الأعلى). (من هو أكثر قيمة يجب أن يتفوق على من هو أقل قيمة والعدل يتمثل في سيادة القوي على الضعيف). (الخيرات التي يملكها الأضعف والأقل شجاعةً هي ملكٌ للأحسن والأكثر قوة). (العدالة أن تهب الأقوى أملاك الأضعف). (الدول الكبيرة القوية عندما تغزو الدول الضعيفة، إنما تتبع في ذلك القانون الطبيعي مادامت هي الأكثر سلطاناً والأقوى). (القانون من عمل الضعفاء ضد الأقوياء). إلا أن أفلاطون عندما أورد هذه الأقوال لم يوردها لقناعته بها، أو لتكون بمثابة دعوةٍ لتمثُّلها والاقتداء بها، بل أوردها ليدحضها ويبيِّن خطأها على لسان أستاذه سقراط. ومن جملة ما ردعليها.. قوله في الكتاب نفسه. (الظلم أفدح الشرور وارتكابه أفظع من احتماله). (إن الذين يرتكبون الظلم يتألمون أكثر مما تتألم ضحاياهم). (القانون يقود إلى العدالة بالقوة). (الأخلاق الفاضلة تحيا دائماً وتنتصر لأنها أقوى من جميع المهاجمين). (على الأصحاء الأقوياء أن يستعملوا قوتهم استعمالاً عادلاً ضد الأعداء الأشرار للدفاع عن أنفسهم لا للهجوم. ومن يستعمل قوته استعمالاً ضاراً جديرٌ بالكره والنفي والموت)[1] لخ.

---

(1) لقد استهوت شخصية (كالكليس) نيتشه فأراد أن يكون نسخةً طبق الأصل عنها، لكن في زيٍّ عصريٍّ ضارباً عرض الحائط بالردود العقلانية التي جاءت على لسان سقراط.

ما بين الأقواس ابتداءً من (القوة هي القانون الأعلى) حتى جملة (ومن يستعمله استعمالاً ضاراً جديرٌ بالكره والنفي والموت) نجد صفحاتها في الكتاب المذكور حسب الترتيب التالي: 47/5/24/75/7/106/20/95/94/89/88/87.

لقد أحب نيتشه الدم حتى في الفن التشكيلي نازعاً عنه صفاءه وطهره. ولو تحقق حلم هتلر الذي كان في ريعان صباه يأمل أن يغدو فناناً تشكيلياً كما ذكر خيري حماد في كتابه تاريخ ألمانيا الهتلرية، لو تحقق له ذلك، لكان مثلاً لنيتشه. قال نيتشه (أحب من الألوان الأصفر القاتم والأحمرالفاقع، لأنهما يدخلان لون الدم على جميع الألوان). (إني أحب الدماء). إن إنسان نيتشه لم يولد بعد، وما الإنسان العظيم سوى جسرٍ يمهد لوجوده، لأن إنسانه الأعلى ما زال يكمل تطوره الجنيني في رحم المستقبل. النخبة وحدهم سادة الأرض وما عداهم وجبات شهية دسمة للشرهين الجائعين حسب الطلب، لحمها طري ودمها شهي.

جماعة القول

لقد طبَّق نيتشه القول العربي المأثور (إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) أما الشق الثاني (واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) فقد نبذه ورمى به جانباً، لأن نيتشه (لا بعد.. بعد الحياة عنده)، فهي المبتدأ والمنتهى.. والممر والمستقر. لقد انطبق على نيتشه قول الشاعر العربي (والطير يرقص مذبوحاً من الألم). ألم يقل نيتشه (أنا أعلم أكثر من غيري السبب في أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك لأنه وحده الذي يتالم أشد الألم، والألم أجبره على اختراع الضحك.[لخ] ولئن دلت أقوال نيتشه

ـ كما أني لن أخوض في إيراد الشواهد التي تحثنا على أن نكون أقوياء من خلال تراثنا وموروثنا (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله (ص) {المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف} وقول المسيح (ع) (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً.. بل سيفاً)إنجيل متَّى /10/بل سنكتفي بما قاله أفلاطون (القوة العظمى خيرٌ لمن يمتلكها لأنها توقع الرهبة في نفوس الإرهابيين حتى لا يمارسوا الإرهاب على الصعيدين الفردي والجماعي. ونحن لن نتهم أعداءنا بالإرهاب ـ على الرغم من أن الإرهاب كلمة توراتية ـ بل سندعهم يصورون أنفسهم بلسان حالهم من مبدأ (من فمك أدينك) قال الصهيوني (حاييم وايزمن) (إن دولتنا إسرائيل بحاجةٍ إلى كفاحٍ مسلَّح.. وجهودٍ دبلوماسيةٍ مضنية.. لكنها أيضاً بحاجةٍ إلى الإرهاب) ومن هنا نرى أن إرهابهم في عرفهم حقٌ مشروع وكفاحنا المشروع ـ في رأيهم ـ إرهاب.

(1) ولقد ألّف مقطوعةً موسيقيةً أهداها إلى (الأسى). يقول فولتير (إني أضحك لأتقي الجنون).

التلميحية والتصريحية على شيء، فإنما تدل على أن أفكاره نبعت من خزَّان ألمه، فجاءت واخزةً للأذن السليمة والضمير الحي. إن فلسفة نيتشه هي انعكاسٌ لصورة نفسه القلقة التي تنوس بين أقصى نقيضَيْن لحظةً معك واخرى عليك، بل لحظةً مع نفسه وأخرى عليها.. بل قُلْ: إنه ليس مع أحدٍ على وفاق. أليس هو القائل (ليس بين الأحياء والأموات من أشعرأنني معه على وفاق؟) تماماً مثلما قال أستاذه شوبنهور (لقد وجدت من فجر حياتي أني مع العالم على غير وفاق). تُرى: هل من بين الأحياء العقلاء أحد كان معك يا نيتشه على وفاق؟.

خاتمة

لئن غفر (شبنغلر) لـ (نيتشه) أخلاقية زارادشت (58) ونعته كتاب (الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه بأنه حادثةٌ انفجارية)(59) ورائد وجدان أوروبا الحديث، فإن صديقه الموسيقي (فاجنر) نعته قبل جنونه بـ (المجنون).

وقال عنه العلاَّمة الفرنسي (فيبييه): (إن مذهب نيتشه التعِس يؤدي إلى الجنون ونظريته بدلاً من أن تخلق الإنسان الأعلى أوجدت الإنسان السافل)(60).

ثم ألم ينعت نيتشه العالم بأنه (دار جنون)؟ وسمَّاه (إقبال) بـ (المجذوب)؟[لخ] تُرى هل هذه الأوصاف التي ألصقت به إرهاصاتٌ تنبي بجنونه؟!

لقد عانى نيتشه مدَّاً فكرياً عاتياً متناقضاً يرتطم بشط مخزونه الدماغي وكأن في رأسه مطارق سوق الحدادين، فكان يقول:

(الضجة تشل الفكر). (متى تأتي ساعتي؟ ساعة انحداري وجنوحي؟؟) (61) حتى أتت ساعة انحداره وجنوحه فانهار عقلياً ثم جسدياً وظلَّ يعاني جنوناً دام أكثر من عشر سنوات قبل أن تطاله يد الموت. وكم خطر في ذهني رسمه تخيُّلاً وهو في

---

(1) قال عنه إقبال: إن عقله مؤمن وقلبه كافر.كما رأى إقبال أن نيتشه قد وصل إلى جزءٍ من الحقيقة ولم يتعد ذلك لأنه كان بحاجةٍ إلى مرشدٍ يقوده إلى الله (إنه كالحلاَّج دون خشبة صلب). واعتبره (كارل ياسبرز) بأن ظاهره إلحادٌ وباطنه إيمان وأن إلحاده إيمانٌ مقنَّعٌ بالحقيقة (أنظر كتاب د. حسن حنفي ج 2 ص 314+ 336 ط 1 لبنان دار التنوير).

ذروة جنونه. تصوَّروا معي رجلاً مجنوناً.. صدامياً.. دموياً.. (أنَويَّاً).. عصبياً.. عُصابياً.. متعصِّباً.. يكزُّ على أسنانه كزَّ الرّحى على الرحى كمن يتشفَّى من غريمه. عيناه غائرتان محدِّقتان في اللاشيء وكلٌّ منهما في اتجاه. مرَّةً يصارع أشباحاً وهمية، وأخرى يضرب بكل وحشيةٍ على علامات (البيانو) الموسيقية بكوعَيْه، حتى تستجير العلامات من ضربه الجنوني، مقرونٌ هذا الضرب بعواءٍ أشبه بنباح كلبٍ مسعورٍ أو بعواء ذئبٍ مجروح. مشهد يوقف شعرالرأس حين سماعه، فكيف حين رؤيته أيضاً قال نيتشه:

(على الإنسان أن يفعل شيئاً أفضل منه ثم يموت).إلاأن نيتشه قبل موته بل قبل جنونه ظلَّ يعلو.. ثم يعلو بـ (أناه) مترفِّعاً عمَّن (سواه) فما استطاع أن يحلَّ محلَّ (اللّه) وما استطاع أن يرى إنسانه (الشبيه أو البديل عن الإله). لكن إنسانه (الّروبوتيّ) الفاقد للإنسانية والضمير والشعور والإحساس الذي يحتل أرضنا.. ويسرق خيراتنا.. ويقتل أطفالنا قد ظهرت في أفق العالم سراياه وتبدت للعالم خفاياه.

انتهـــــى .....

المـصادر والمراجـع

1ـ عصر الإيديولوجيا. هنري إيكن. وزارة الثقافة،1971، دمشق ، ص (253).

2ـ المصر نفسه ص (225).

3ـ المصدر نفسه ص 254.

4ـ المصدر نفسه ص 253.

5ـ المصدر نفسه ص 354.

6ـ المصدر نفسه ص 356.

7ـ على دروب زارادشت. استيبيان أو دويف.ط 1.1982. دار دمشق + لبنان ص 10.

8ـ كتاب الهلال. مصر ص 113 ج 2.

9ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة. مكتبية الإنكلو مصرية ص 169.

10ـ فريدريك نيتشه. نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ط أولى 1993. دار الكتب العلمية ص 10.

11 ـ عصر الإيديولوجيا. هنري إيكن.ص .257

12ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 6.

13 ـ الموسوعة الفلسفية المختصرو ص 375.

14 ـ على دروب زارادشت. استبيان أودويف ص 181.

15 ـ أعلام الفكر الأوروبي. هنري توماس ج 2 ص 97.

16 ـ المصدر نفسه ص 104.

17 ـ هكذا تكلم زارادسشت. فريدريك نيتشه. المكتبة الثقافية لبنان. ص 93.

18 ـ أعلام ا لفكر الأوروبي. هنري توماس.ج 2 ص 37.

19 ـ فريدريك نيتشه. نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص 36+37.

20ـ الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه. جان إدوار سبنله. وزارة الثقافة.1968. دمشق ص 223.

obeikandl.com

21 ـ فريدريك نيتشه. نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص 38.

22 ـ الأمير. نيقولو مكيافلي ط 11. ص 31.

23ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف.ص 12.

24ـ من هيغل إلى نيتشه. كارل لوفيت. وزارة الثقافة.1968. دمشق ص 34.

25ـ على دروب زارادشت. استبيان أودويف ص 44.

26 ـ تهافت الفلاسفة. السيد محمود أبوالفيض المنوفي. ط 1.1967. دار الكتاب العرب. لبنان. ص 258.

27ـ الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه. جان غدوار سبنلهً 127ـ 129.

28 ـ على دروب زارادشت. استبيان أودويف ص 93.

29 ـ فريدريك نيتشه نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة.

30ـ الأمير نيقولو مكيافللي ص 40.

31 ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 149.

32ـ المصدر نفسه ص 84.

33ـ أعلام الفكر الأوروبي. هنري توماس ص 33.

34ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 193.

35ـ هكذا تكلم زارادشت. فريدريك نيتشه ص 102.

36ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 49.

37ـ عصر الإيديولوجيا. هنري إيكن ص 257.

38ـ فريدريك نيتشه نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضه ص 29.

39ـ من هيغل إلى نيتشه. كارل لوفيت ص 165.

40ـ فريدريك نيتشه نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص 18.

41ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج 39.ص 55.

42ـ أعلام الفكر الأوروبي. هنري توماس ج2 ص 111.

43ـ هكذا تكلم زارادشت، فريدريك نيتشه ص 65.

44ـ عصر الإيديولوجيا. هنري إيكن ص 257.

45ـ فريدريك نيتشه نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص 32.

obeikandl.com

46ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 92.

47ـ هكذا تكلم زارادشت. فريدريك نيتشه ص 72.

48ـ فريدريك نيتشه. نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص 33.

49ـ هكذا تكلم زارادشت. فريدريك نيتشه ص 239.

50ـ المصدر نفسه ص 318.

51ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 131ـ141.

52ـ المصدر نفسه ص 81.

53ـ المصدر نفسه ص 43.

54ـ هكذا تكلم زارادشت.فريدريك نيتشه ص 231.

55ـ فريدريك نيتشه. نبي فلسفة القوة. الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص 30.

56ـ تهافت الفلاسفة. السيد محمود أبو الفيض المنوفي.ص 259.

57ـ هكذا تكلم زارادشت فريدريك نيتشه ص 223.

58ـ على دروب زارادشت. استبيان أو دويف ص 146.

59ـ الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه. جان غدوار سبنله. ص 216.

60ـ تهافت الفلاسفة. الشيخ محمود أبو الفيض المنوفي ص 259.

61 هكذا تكلم زارادشت. فريدريك نيتشه ص 225.

obeikandl.com